University of Tehran Press

Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Online ISSN: 3092-6475

Symbols of loss in the contemporary Omani novel: The novel "Dilshad" by Bushra Khalfan: a case study

Faisal Ashtab[1] | Ali Khezri[2*] | Rasoul Balavi[3] | Mohammad Javad Pourabed[4]

1. Department of Arabic language and literature, Faculty of Literature and Humanities, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. Email: faisalashtab@gmail.com
2. Corresponding Author, Department of Arabic language and literature, Faculty of Literature and Humanities, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. Email: alikhezri@pgu.ac.ir
3. Professor of Arabic Language and Literature, shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. E-mail: r.balavi@scu.ac.ir
4. Department of Arabic language and literature, Faculty of Literature and Humanities, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. Email: m.pourabed@pgu.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received: January 22, 2023
Revised: May 10, 2024
Accepted: June 05, 2024
Published online: June 12 2025

Keywords:
Omani novel,
Bushra Khalfan,
Dilshad's novel,
Loss,
Alienation.

ABSTRACT

Loss is one of the concepts that is part of the alienation that an individual experiences in his/her society, as a result of the prevailing social situation. Therefore, we see this psychological phenomenon strongly entering social literature to become an integral part of it. A novel, by its nature, will not abandon the behaviors of its society; This is why it is reflecting most of the facts and events that occur among its members, with an insightful social literary outlook. Loss is one of the most important elements of self-estrangement, which novelist Bushra Khalfan addressed in her novel "Dilshad." This novel is one of the most important contemporary novels that shed light on and treat the social diseases that are widespread in a single society. The novel embodied the famine and poverty, alienation and the crisis in exploring identity, women and the pressures exerted against them such as contempt, violence and male authority, which led to the fusion of the concept of the "ego" in the midst of these accumulated events, which cast the shadows of backwardness and exclusion in society. This research follows the descriptive-analytical approach by exploring the accumulated events with a sociological view in the mosaic of Omani society. The events of the novel coincided with the outbreak of World War II, where the novel took upon itself to reflect the manifestations of loss such as hunger, alienation, identity crisis, occupation, displacement of communities, and the conspiring authority over community property. This social accumulation led to the manifestation of types of loss in society. In our research, we will show the various points of loss and the positive points that gave the novel an artistic literary status, such as the multiplicity of voices, sarcasm, and sequential symbolism in the novel's characters.

Cite this article: Ashtab, F.; Khezri, A.; Balavi, R. & Pourabed, M. J. (2025). Symbols of loss in the contemporary Omani novel: The novel "Dilshad" by Bushra Khalfan: a case study. *Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry*. 21 (2), 135-147. http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.365698.1362

© Authors retain the copyright and full publishing rights.
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.365698.1362

جامعة طهران

ابن المقفع في القص والقصيد

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦٤٧٥-٣٠٩٢

مظاهر الضَّياع في الرواية العمانية المعاصرة رواية "دلشاد" لبشرى خلفان أنموذجاً

فيصل اشتاب[١] | علي خضري[٢*] | رسول بلاوي[٣] | محمدجواد پورعابد[٤]

١. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: faisalashtab@gmail.com

٢. الكاتب المسؤول، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: alikhezri@pgu.ac.ir

٣. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران. البريد الإلكتروني: r.balavi@scu.ac.ir

٤. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الإلكتروني: m.pourabed@pgu.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخ‌هاي مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٠/٢٢
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٤/٠٢/١٠
تأريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٣/٠٥
تأريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٦/١٢

الكلمات الرئيسة:
الرواية العمانية،
بشرى خلفان،
رواية دلشاد،
الضّياع،
الاغتراب.

الملخص

يُعدُّ الضَّياع من المفاهيم المتشعبة لظاهرة الاغتراب التي يصاب بها الفرد في مجتمعه، إثر تقلبات الوضع الاجتماعي السائد؛ فلذلك نرى هذه الظاهرة النفسانية تدخل الأدب الاجتماعي بقوة لتصبح جزءاً لايتجزأ منه.الرواية بطبيعتها لن تتخلّى عن سلوكيات مجتمعها؛ فلهذا تراها تعكس معظم الوقائع والأحداث التي تقع بين أفرادها، بنظرة أدبية اجتماعية ثاقبة. يعدُّ الضَّياع من أهم عناصر الاغتراب الذاتي، التي تطرّقت إليه الروائية بشرى خلفان في روايتها "دلشاد". هذه الرواية المعاصرة التي سبرت أغوار أزمات الضياع والاستلاب الهووي في الفضاء الروائي. تعتمد هذه الرواية على دراسة سوسيولوجية، حيث أخذت الرواية عناصرها من الواقع الاجتماعي، واستطاعت الروائية أن تتنقل بأحداث النص السردي الذي نرى فيها التداخل القصصي الأنثروبولوجي الذي يُعدُّ من أهم أركان تكوين العمل الروائي، إلى عالم استكشافي في النص الروائي. تُعدُّ هذه الرواية من الأعمال الأدبية الاجتماعية في حبكتها السردية ،حيث استطاعت خلفان أن تُجسد الأحداث في نهاية القرن التاسع عشر، كالأحداث التاريخية، والسياسية في هذا المجتمع المتناقض في معظم فقرات الرواية، التي جعلت الرؤية السيكولوجية في النص تُعرَّف من خلال التعبير؛ بأنَّ دراسة الفرد في المجتمع، دخلت في حيِّز الأدب الاجتماعي الذي يدرس النصوص من خلال السلوكيات المتوارثة في الإنسان. هذا البحث وفق المنهج الوصفي – التحليلي وذلك باقتحام الأحداث المتراكمة بنظرة سوسيولوجية في فسيفساء المجتمع العماني. تزامنت وقائع الرواية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث أخذت الرواية على عاتقها تعريف شخصية الفرد البلوشي بهوية مُذبذبة هامشية تسكن علي قارعة الطريق، وأن المجتمع البلوشي شعب ينتمي لموروث ثقافي أصيل. كان الضّياع متصلا بشخصيات الرواية ولاسيما"دلشاد" الذي انتهى مصيره بضياع جديد باحثا عن إبنته "مريم"؛ التي تحدّت السلطة الذكورية، والضغوطات التي تمارس ضدّ المرأة. كانت أزمة الهوية علامة صارخة في النص الروائي التي أدّت بانصهار مفهوم "الأنا" وإقصاء الفرد في المجتمع.

العنوان: اشتاب، فيصل؛ خضري، علي؛ بلاوي، رسول؛ پورعابد، محمد جواد (٢٠٢٥). مظاهر الضَّياع في الرواية العمانية المعاصرة رواية "دلشاد" لبشرى خلفان أنموذجاً. ابن المقفع في القص والقصيد، ٢١ (٢) ١٣٥-١٤٧.

http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.365698.1362

© المؤلفون.

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.365698.1362

المقدمة

إن الرواية من الأجناس الأدبية الأكثر شيوعا في العصر الحاضر؛ والرواية عالم شديد التعقد ومتناهي التركيب؛ حيث تتخذ الرواية لنفسها أشكالا متعددة ولها أنماط مختلفة. إن الرواية من الأشكال الأدبية التي من خلال نصها السردي أن تبين هواجس النفس والمجتمع بحرفية تامة. السرد الروائي بفضاءه المتنوع يبسط حاضنته ليحتوي عناصر الرواية بأكملها.الرواية المعاصرة استطاعت أن تجتاز الكلاسيكية لتأتي بمظاهرالحداثة لتدخل معظم رؤى الروائيين الغائبة عن أنظار المخاطب.

رواية"دلشاد" للروائية العمانية المعاصرة بشرى خلفان التي استطاعت من خلالها أن تسلط الضوء على المجتمع العماني، ولاسيما الجالية"البلوشية" التي نزحت من "بلوشستان" لتستقر في عمان الحديث. تناقش الروائية مفهوم الضياع في مجتمعها متخذة هذه الثيمة المشتركة التي ظهرت في أهم روايات العالم. الضَّياع مفهوم واسع اختزل في ضميره مفاهيم عِدَّة، وأصبح الشغل الشاغل لمعظم الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون عن العوامل التي تؤدي لضياع الفرد في مجتمعه. الضياع لم يقف في محطة واحدة، بل ينتقل بتطوراته وتقلابته في المجتمع إثر التعاملات والظروف الحاكمة على الناس. ثيمة الضياع قد تفرض نفسها بقوة على الرواية، ولاسيما الرواية العمانية. وقد"تناول عدد من الروائيين العرب هذه الظاهرة الاجتماعية، ويأتي في مقدمتهم نجيب محفوظ في رواية"السمان والخريف" وبطلها المهزوم"عيسي الدباغ" الذي عاش غربة نفسية وزمكانية في وطنه.

أخذت الرواية ثيمة الضَّياع من الواقع الاجتماعي، الذي كان يصور مشاهدها من خلال شخصيات الرواية التي كانت تعاني هذا الألم الاجتماعي المشترك بكل وضوح؛حيث استطاعت الروائية أن تنتقل بأحداث النص السردي بالتداخل القصصي من شخصية لأخرى، وهذا التلازم الأنثروبولوجي، يُعدُّ من أهم أركان تكوين العمل الروائي .الرواية صورة عن الحياة الواقعية التي تعكس صورة السلوكيات البشرية في المجتمع الواحد. تُعدُّ هذه الرواية من الأعمال السردية التي جسدت الواقع الاجتماعي العماني، والأحداث التي وقعت فيه نهاية القرن التاسع عشر. أقحمت خلفان العناصر الرئيسة، كالأحداث التاريخية، والسياسية في هذا المجتمع المتناقض في معظم فقرات الحبكة، التي جعلت الرؤية السيكولوجية في النص تُعرَّف من خلال هذه التعبير الصائب. إنَّ دراسة الفرد في المجتمع تقع على عاتق عالم الاجتماع؛ الذي يتوَّصل من خلال السلوكيات المتوارثة في الإنسان لنتائج هامة، ولكن عندما ظهرت الدراسات الأدبية الاجتماعية أصبحت هناك قناة تربط علم الاجتماع بالأدب الاجتماعي الذي يدرس المؤلفات الأدبية بعيدًا عن الدراسات الشكلانية والأسلوبية في نفس الوقت .

نحاول في هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي- التحليلي أن نخرج بالنتائج المطلوبة التي تفي بغرض هذه الدراسة النقدية. أعطت الدراسات الحديثة مسألة العناوين اهتماما بالغا، لأن العنوان يُعتبر ملخصا للنص؛ فرواية "دلشاد"بعنوانها الفارسي لفت الانتباه حول هذه الرواية. استهدفت الروائية خلفان بأن المرأة العمانية جديرة بالتفوق والرقي وهذا ما لاحظناه في شخصية مريم دلشاد، وانتقال عناصرالرواية الزمكانية بشخصياتها الهاربة والمتذبذبة في بلاد مختلفة، تعكس لنا مدى الضَّياع الذي حلَّ بالأسرة البلوشية. تهدف الرواية بتنقلات شخصياتها بين حارات عمان القديمة كلوغان، وولجات، والشجيعية، والهند، ينبئ بالنفس الطويل للراوية لتبين تعدُّد الأصوات لشخصياتها. استطاعت الراوية بسردها الطويل أن تعطي المساحة المُتسعة لتعريف أهم المحطات، كالجوع والحزن، المغامرة والاستكشاف، الحب والعلاقات الإنسانية، والهوية والانتماء. كان الفضاء المسرحي مُبينًا ثيمة الضَّياع، والاغتراب الذاتي الذي لاحق معظم شخصيات الرواية، وعلى رأسهم دلشاد.

أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة إلي الإجابة عن السؤالين التاليين :

-كيف وظفت بشرى خلفان ظاهرة الضَّياع والشَّتات في المجتمع العماني؟

-كيف تصرفت الروائية بنتائج الضَّياع مع شخصيات الرواية؟

خلفية البحث

نظراً لأهمية البحث الذي تعددت تعريفاته بين بحاثة الأدب الاجتماعي، قمنا بدراسة مظاهر الضّياع في الرواية العربية، ولاسيما الرواية العمانية، وذلك من خلال الكتب، والأطاريح الجامعية، والمقالات المحكمة، التي ساهمت بتعريف مظاهر الضَّياع وتجلياتها القائمة في الرواية العربية على سبيل المثال لا الحصر :

كتب الكاتب لزهرمساعدية كتابا بعنوان"نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي"وقد نُشر هذا الكتاب من دار الخلدونية الجزائرية لعام ٢٠١٣م، وقد قسَّم الكاتب الكتاب في فصلين، وهما: نظرية الاغتراب من المنظور العربي، والثاني: نظرية الاغتراب من المنظور الغربي، حيث استشهد بأهم التعريفات من أهم كتَّاب الغرب والعرب لتعريف ظاهرة الضَّياع التي تُعدُّ شعبة من ظواهر الاغتراب. قسم الباحث الاغتراب الاجتماعي لنوعين مهمين وهما: الاغتراب عن الوطن، والاغتراب داخل الوطن.

هناك أطروحه بعنوان"أزمة الهوية في الرواية الجزائرية" بقلم قحام توفيق (٢٠١٧م) وقد تطرقت لأنواع العناصر للهوية بشكل لافت، وارتباطها بتحليل الحوادث الواقعية التي هي على اتصال مباشر بمفهوم الهوية الاجتماعية. فهرسَ الباحثُ الأطروحة لأربعة فصول، وهي كالتالي: الفصل الأول صراع الهوية والتاريخ، الفصل الثاني، أزمة الهوية الاجتماعية، والفصل الثالث أزمة الهوية السياسية والفصل الأخير، وهو أزمة الهوية الدينية.

"ضياع الهوية بين الاغتراب والغرائبية - قراءة تأويلية في رواية "الغرف الأخرى" لجبرا إبراهيم جبرا للباحثينِ إيمان عبد دخيل وجولان حسين جودي في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية لعام ٢٠١٩ المجلد التاسع العدد الثالث.

قسم الباحثان دراسة الرواية لثلاثة مباحث وهي: هوية الذات بين الوجود و الاغتراب، تجليات الغرائبية في الرواية فقد عمد جبرا إبراهيم جبرا إلى بنية سردية ملغزة، جرياً وراء رواية مابعد الحداثة،فتقصد تغيب الواقع تماما، وخلق عوالم غرائبية، كالمكان، فقدان الهوية، إصرارالآخر على تعميق هوة الانفصال بين الذات والبطل.علاقة الاغتراب بالغرائبية وضياع الهوية الذاتية. يرى الباحثان مظاهر الاغتراب تتجلى في شخصية البطل الرئيسة، وحالة الاستلاب التي عاشتها الشخصية، ومجهولية الآخر وإنكار الشخصية له .

أما الدراسة الأخيرة، وهي دراسة تطبيقية تحت عنوان" دراسة أثر "المحاكمة" لفرانس كافكا في رواية "الغرف الأخرى"لجبرا إبراهيم جبرا الصادرة عن مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة الثامن عشر، العدد الثاني، الصيف ٢٠٢٢م.

كان جبرا إبراهيم جبرا من الروائيين الأوائل الذين تأثروا بالأدب الأروبي وفي طليعتهم فرانس كافكا. خط أثره الروائي الغرف الأخرى على خطى رواية المحاكمة لكافكا، حيث كشف اللثام عن ضياع الإنسان، والسلطة القاهرة المتحكمة بمصيره. نرى الضياع لبطلي الرواية على قدم وساق، حيث ظهر بطل رواية المحاكمة دون إسم واكتفى فقط بحرف واحد لإسمه، وهو"ك" المجهول. ولاتختلف رواية جبرا لثيمة الضياع والتهميش الذي حلَّ ببطل روايته عندما ضيَّع هويته ولا يعرف إسمه الحقيقي و ظلَّ متأرجحا بين أسماء متعددة "نمرعلوان" أو"عادل الطيبي" وعاش هذه التجربة القاسية التي فصلته عن ذاته وهويته الفلسطينية، ليصبح شخصا آخرا حائرا ضائعا في ظل هذا الوجود العاتم.

ما نطمح إليه في دراستنا لهذه الرواية هو تعريف الضَّياع الذي يُعدُّ حاضنة لظاهرة الاغتراب الذاتي الذي حلَّ بالمجتمعات الإنسانية. تعدُّ هذه الدراسة باكورة الدراسات النقدية التي سلطت الضوء على الرواية الخليجية. حاولنا في هذا البحث أن نركز على مفهوم الضَّياع وتجلياته التي اقتحمت شخصيات الرواية.

ملخص الرواية

وقعت أحداث الرواية في سلطنة عمان في القرن التاسع عشر، وتدور أهم وقائع الرواية على ضَّياع العوائل النازحة لعمان، وبعض العوائل العمانية التي تعاني التبعيض الطبقي. كبر دلشاد في خيمة ماحليمة وبدأ العملُ الشاقُّ في عنفوان صباه حيث يحمل الحليب ويبيعه في حارة "ولجات" وهي من الحارات التي تضمُّ أغنياء مسقط. كان الجوع والتعب يلاحقان دلشاد المهمش والمعذَّب.

المجاعة والضَّياع سرقت أحلام الطفولة من دلشاد وأطفال الحارة. وبعد هذه الحياة القاسية تزوج دلشاد بفتاة بلوشية تدعى "نورجيهان" والتي لم تعش معه إلا فترة وجيزة لا تتجاوز السنة الواحدة؛ لأنَّ قدرَ الموت خطفها وهي في ريعان شبابها بعد إنجابها لإبنته الوحيدة "مريم". عاشت مريم على الجوع والفقر الهالك الذي أصبح سببا رئيسا لبيعها، لبيت ثري مسقطي لتكون فيه خادمة لجوعها الذي سَرق منها الطفولة والحرية. دخلت مريم بيت"عبداللطيف لوماه" هذا البيت البرجوازي المكتظُّ بأنواع البشر الذين كلهم في خدمة "عبد اللطيف وأخته فردوس". ولكن جرت الرياح بما تشتهي السفن حيث استطاعت مريم أن تصبح زوجة لعبد اللطيف التاجر في عائلة لوماه. تعامل عبد اللطيف مع مريم بحنان ولطف مما أدى لبناء شخصية مريم الخادمة التي أصبحت سيدة بيت عبد اللطيف لوماه.

اندلعت الحرب العالمية الثانية وأدَّت لتعطيل جميع الأعمال الاقتصادية وانتشار الفقر والمجاعة وقتل مئات العمانيين، وعلى رأسهم التاجر عبد اللطيف لوماه. عندما أسودَّت الدنيا بوجه مريم عزمت وخطَّطت للهروب برفقة بنتها إلى "الشجيعية" التي غالبية سكانها من العوائل البلوشية الفقيرة في تلك الخيام البالية،خوفًا من فردوس المتجبرة. استطاعت مريم أن تكوَّن شخصية قوية للمرأة العمانية بحكمة وعقلانية، حيث أرسلت بنتها فريدة إلى بيت العلم حتى تُكملَ مسيرتها العلمية التي حُرمت منها إثر العادات والتقاليدالعرفية آنذاك.

تعريف الضَّياع بين الاصطلاح والاستخدام

الضياع مفهوم واسع اختزل في ضميره مفاهيم عِدَّة، وأصبح الشغل الشاغل لمعظم الباحثين الاجتماعيين الذين يبحثون عن العوامل التي تؤدي لضياع الفرد في مجتمعه. الضياع لم يقف في محطة واحدة، بل ينتقل بتطوراته وتقلابته في المجتمع إثر التعاملات والظروف الحاكمة على الناس. الضياع قد فرض نفسه بقوة على الرواية العربية ولاسيما الرواية الخليجية. وقد"تناول عدد من الروائيين العرب هذه الظاهرة الاجتماعية، ويأتي في مقدمتهم نجيب محفوظ في رواية"السمان والخريف" وبطلها المأزوم"عيسي الدباغ" الذي عاش غربة نفسية وزمكانية في وطنه. وكذلك رواية "هجرة السنونو" للأديب السوري حيدر حيدر، من خلال رمزية اسم بطلها"هزيم" المـــُعبِّر عن هزيمة الإنسان العربي واحباطاته المتوالية. يتجسد الضياع في ذلك الواقع و"ذلك الفضاء الزمكاني الغني بأحداثه وتفاعلاته، وذلك المعين الوافر الذي تتحدد فيه معالم الرواية، فهو المرجع الذي يعود إليه الروائي في استلهام مراحل كتابة النَّص الروائي، وفِي تحريك ملكته التخيلية، حيث تتشعبُ حدود الواقع في الرواية بين مستويات متنوعة، معبرة في ذلك الواقع عن العمق الاجتماعي الذي يمكن أن يطرحه تضارب الخطابات واختلاف المذاهب. ولئن كانت الكتابة تعبيرا عن الواقع الاجتماعي للأفراد، فإنَّ الكاتب يعتبرُ سفيرا لهذه الجماعة وناطقا بلسانها" (قحام، ٢٠١٧م، ١١٧) فأكبر ما يهدد الهوية الاجتماعية هو الضَّياع، ذلك الاختراق الفكري والتقاليد والحضارات التي تُبدد الأفراد لشرائح مختلفة .

يعتبرالضَّياع في دلالته الاصطلاحية مفهوما عاما يحتوي على فروع متنوعة، حيث كلُّ مفهوم ينحدرُ إلى معان ومفاهيم وآراء معقدة. ضياع "الأنا" هو ذلك الضياع المُشاهَد في الرواية حيث نرى بطل الرواية ينسلخ ويهرب من تاريخه وثقافته بسبب الضياع الوضعي الذي تجذَّر في المجتمعات التي لم تنته من عُقدها النفسية. أكدت الروائية على ظاهرة "الجوع" هذا الضَّياع الرئيس الذي لم ينتهِ، وكان ملازما لشخصيات الرواية.

مظاهر الضياع في رواية دلشاد

ضياع الهوية

يتعرف الفرد في الدراسات الفكرية والمعرفية حول مسألة الهوية على أهم المكونات التاريخية والاجتماعية التي ينتمي إليها، وهذا التعرف يشكل العمود الفقري لاستقرار شخصية الفرد في المجتمع. فالهوية الاجتماعية الذاتية لكل فرد"تستمدُ معناها من خلال السياق الاجتماعي الذي يحدثُ من العلاقات بين الجماعات، وليفسرَ كيف يحدد التصنيف الاجتماعي مكان الفرد في المجتمع." (زائد، ٢٠٠٦م، ١١). فالهوية من الركائز الأساسية في تشكيل شخصية الفرد في المجتمع. وهذه الهوية تتشكل من عدة عناصر وضعية وتوقيفية

بين أفراد المجتمع الواحد.تُعتبر الهوية من الإشكاليات المحورية في حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية، وتُعدُّ الأكثر شيوعا واستخداما في خضمِّ نشاطات الفرد في المجتمع. هذا المفهوم مفهوم غامض، ومعقد يطلق على"جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر. فبغياب هذه العلامات والخصائص، تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر" (الودغيري، ٢٠٠٠م، ٥٠) ولهذا الضَّياع والشَّتات الذي نراه في أحداث الرواية عوامل دخيلة، قامت على ركائزها السلطات القهرية الاجتماعية. رأينا الضياع والإقصاء واضحين في نصوص الرواية وشاهدنا الاغتراب الهووي واضحا. يرى نبيل راغب بأنَّ: "الاغتراب هو حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في وطنه وبين أهله، أم كان بعيدا عنه، فحين أنَّ قيس النوري يرى بأنَّ الاغتراب هو: الانفصال عن المجتمع والثقافة." (مساعدية، ٢٠١٣م، ٦٣) فيصبح المرءُ غريبا ضائعا فِي بلده دون هوية بسبب الأعراف الجائرة التي تفرض عليه الاغتراب عن وطنه.الاغتراب في داخل الوطن، هو الفقر والجوع الذي يسلبُ هويتك وأرادتك أمام سلطة الأغنياء والمترفين. فالهوية هي: بناء يتشكلُ ويتطورُ كلما دعت الحاجة إلي ذلك وهو سعي مستمر نحو التجديد المثمر والتحول البنَّاء والإضافة الحقيقية التي تكسبها القوَّة وتحميها من التلاشي (جوادي، ٢٠١٧م، ٨٨) ولكن الهوية تتبعثر مع التقلبات السياسية والاجتماعية. والآن نُبين بعض النماذج السالبة لهوية الإنسان ومدى اغترابه في الرواية عبر الشاهد التالي حين يقول:

"لا أعرف كم كان عمري عندما تم بيعي لحبابي أحمد في مسقط،أمي كانت قد بدأت باللطم على وجهها قبل ذلك بمدة طويلة، وهي تقول: سيأخذونك يا موزي سيأخذونك مني ولن أراك، وسألتها إلى أين، فقالت لا أعرف" (خلفان، ٢٠٢٢م، ٢٥٤)

يبدأ الضاع في هذا الشاهد جليا،عندما نرى الخطاب يبتدي بمفردة "لا أعرف" و ينتهي بنفس المفردة التي تدلّ على التشتيت والاغتراب القاتل الذي يسلخك عن جذورهويتك الأم. نرى في مجريات هذه الرواية "ظاهرة الرِّق" التي تسلب حقوق الفرد وضياعه وتهميشه بين أبناء جلدة لمصير مجهول. استخدمت الروائية خلفان هذه النظرة الإنسانية لتجعل موضوع الرواية موضوعا إنسانيا يسلط عليه الضوء من قبل النقاد لمعالجة هذا الداء العضال بين المجتمعات الإنسانية. نرى ثيمة الضياع، والهروب من الذات، ومجهولية الإسم والنسب تتجلى بوضوح في هذا الشاهد حيث يقول:

"غادرت مسقط هاربا من كل شيء، منك ومن نفسي، ومن الجوع، ومن حارتنا البائسة، وألسنة الناس، ومن أبي الذي لم أعرفه، ومن وجه نورجيهان والعتب في عينيها" (خلفان٢٠٢٢م، ١٠٠)

في هذه الفقرة نرى عناصرا كثيرة أدَّت لهروب دلشاد، ونزوحه القسري عن وطنه الذي ولد وترعرع فيه، والجوع الذي جعل من مريم ضحية في بيت لوماه لتسد رمق جوعها والعادات السيئة الاجتماعية التي تطارد دلشاد في أزقة مسقط وتذكره بأنه "ودالسيح" أو"الغبن" مما أثار حفيظته، وأربك حياته الأسرية التي جعلته مغتربا في وطنه قبل أن يغترب في البلاد البعيدة. وفي الأخير يرى نورجيهان تعاتبه كل ليلة قائلة له: لماذا تركت "مريم" وحيدة جائعة خادمة في ذلك البيت الذي يعاقب الفرد لمجرد ضحكة.

"ولدتُ داخل الخيمة على الضفة الشرقية لحافة الوادي الكبير، وكبرتُ في ظلِّ خيمة أخرى على الضفة الغربية" (خلفان،٢٠٢٢م، ٩)

ففي هذا الشاهد نرى بأنّ شخصية الرواية قد ضاعت هويتها من خلال عيشها في مخيمات اللاّجئين، بعدما تركته عائلته للشوارع، وبقي وحيدا يتسكع بين الخيام العارية.تتجلى ثيمة الضياع بكل وضوح عندما يعكس حياة دلشاد الذي ولد في بيت مجهول يلاحقه العارتارة و لعيش في خيمة أخرى تختلف هويتها تارة أخرى. الخيام لا تشكل هوية للفرد، لأنّ كل ما يوجد في الخيمة هو عبارة عن، الفقر، والجوع، والحزن، والعيش المؤقت لأجل غير معلوم. نقرأ في شاهد آخر حيث يقول:

"أنا لم اعرف معنا أن يكون للمرء أب. نعم، كنت أباً لمريم، لكني لم اكن يوماً ابناً لرجل، ولا رائحة أستدل بها على نسبي" (خلفان،٢٠٢٢م، ١٢٣)

بدأ الضياعُ يلاحقُ دلشاد في بدء حياته التي تعقدت إثرَ الصراع النفساني الذي جعل منه إنسانا ضائعا هاربا من هويته الاجتماعية. إنَّ الذات والتصنيف الاجتماعي يحددان الهوية الاجتماعية، ولكن ما نراه في حديث البطل المهزوم، أنَّ هويته وعضويته سُلبت منه لا إراديا وهو يعيشُ بين أفراد مجتمعه الذي يعرفُ أنَّ سيرةَ أهله لم يتدخل فيها نهائيا. كبُر دلشاد وهو لايعرفُ إلى من

ينتمي؟ فهو ضائع بين الانتماء وعدم الانتماء، وهذا التية ظلَّ يلاحقه مدى عمره حتى قررَّ بالفرار والاغتراب من حارته التي عاش فيها معظم حياته. فهذه الأزمة التي جعلت منه إنسانا مغتربًا ومُذبذبًا ينسلخُ من هويته، وثقافته، ووطنه الذي وُلد وعاش فيه منذُ أمدٍ بعيد.

ظاهرة الفقر

تسبب الفقر في ضياع الجالية النازحة، وبعض الشرائح في المجتمع العماني في بدايات القرن التاسع عشر، حيث نرى سطوة الاحتلال والاختلافات القبلية المنتشرة بين إمارة مسقط والمعارضين للحكومة والفجوة الطبقية التي سحقت الفقراء والمساكين في حارات عمان سلبت منهم أبسط الحقوق كالتعليم والعيش الكريم والتعبير عن الرأي الذي هو من أولويات المجتمعات الإنسانية. نستطيع القول بأن الفقر هو أساس الفساد والتخلف السائدين في المجتمعات. فعندما يخيم الجوع على كاهل المدقعين الجياع تتلاشى آمالهم ويصبحون سلعة رخيصة في أحضان الآخر. لأن من يفقد معطيات "الأنا" وهي"القاعدة الأساسية في عمران المجتمع سيخسر حاضنته الأساسية في وطنه. المقصود بمعرفة الأنا هو وجوب حصر ومعرفة الأصول الحضارية والثقافية والتأريخية التي ينشأ بموجبها المجتمع، وتكونُ سببا في تطوره أو تدهوره" (أمقران، ٢٠٠٥م، ١١٧) فسيبقى هذا التصارع بين الهوية وسلطة الجوع. توجد في روايتنا آثارا كثيرة لهيمنة الفقر والجوع، وهذا ما نشاهده في الشاهد التالي:

"كبرت مريم على حليب نساء أخريات، وكبرت أنا معها، وثقلت ضحكتي وأنا مستمر في عتالة السوق ونقل الغمامة، وأحياناً كنت أساعد البانيان في نقل روث أبقارهم وحرقها" (خلفان، ٢٠٢٢م، ٦٥)

الفقر جعل من دلشاد رجلا فقيرا مضطهدا يعمل حمالا وراع لأبقار المستعمرين. وهذا الجوع والفقر أثقل كاهل عائلة دلشاد وابنته الصغيرة مريم. كبر على الجوع والحرمان في خيمتهم التي لم يُشاهد فيها غيرالفقر والتحقيريوما. نُشاهد التحقير والاذلال الذي مرَّ بدلشاد لكي يقي نفسه من سلطة الجوع القاهرة التي جعلته يعمل في زريبة الأبقار. هذا الذوبان والمعاناة التي كبُر عليها دلشاد ومريم أبعدته عن اندماجه كمواطن يعيش بكرامة بين أبناء مجتمعه. وفي مكان ثانٍ من الرواية نلمس ذلك الجوع حين يقولُ :

"كنا جوعى، كل الناس كانوا جوعى، ومريم كانت تزداد نحولا، لكنها مع ذلك كانت تكبر،خفت عليها من الجوع وأدخنته" (خلفان،٢٠٢٢م، ٧٦)

في هذه الفقرة ينتشرُ الفقرُ بين جميع أبناء المجتمع، الجوع الذي أنهك الجميع ومريم تزداد وهنا على وهن إثرَ هذه المجاعة الكبرى. فالجوع أحاطهم وأصبح شبحا يخيفهم ليلا ونهارا. لأنّ الجوع هو العنصر الفاتك بضياع أبناء المجتمع الفقير، والعامل الأصلي لتشتت الأسر وانصهارها في بوتقة الحرمان. لايعرفُ الجوع إلَّا من تمرغ على التراب بسبب المجاعة التي بددتهم في طرقات ولجات من الصبح الباكر حتَّي نهاية النهار. وهكذا كان الجوع يسرق آمال الفقراء.

"تشبثت مريم بردني، لكني أفلت من قبضتها، وقبضت عصاي وقادرتها، تركتها واقفة هناك، وخطوت خطوتين لا أكثر، ثم سمعت شهقاتها، والباب يغلق ورائها، وشعرت بوجع شديد في صدري. " (خلفان،٢٠٢٢م، ٦٨)

ترك دلشاد مريم، لتنال لقمة عيش في بيوت الأجانب التي لا يعرفها نهائيا.جعل الفقر دلشاد تاركا مريم خادمة في بيت "لوماه" خوفا ألَّا تقع بالمحظور الذي وُلد عليه دلشاد وجعله منبوذاً وهو تلقيبه "إبن السيح" بين أقرانه. لا يمكن لدلشاد أن ينصرف عن رأيه الباطل، لأنَّ التمزق الداخلي وانهزام الذات جعلته أن يَرهن حرية مريم مقابل لقمة عيش. وهذا الجوع،هو الموت البطي الذي واجهته مريم. مخالفا لقول السماء الذي يقول:(لا تقتلوا أولادكم خَشية إملاقٍ) (إسراء: ٣١) فالقتل هنا ليس بزهق الأرواح فقط، بل رهنُك وترك ابنتك للقدروالموت التدريجي.

استغلال الطبقة الكادحة

استغلال الطبقة العاملة من الظواهر التي كانت وما زالت رواسبها في المجتمعات الشرقية. وقد عالج الدّين والمفكرون هذه الظاهرة إلَّا أنهم لم يفلحوا وبقيت مساعيهم حبرا على ورق. تعاني المجتمعات المتخلفة ظواهر الفقر والجوع والأمية والجهل، ويتولد

عندها إحساس بعدم الشعور بالأمان والاستقرار والشقاء المضني وتفاهة الحياة. استعباد وإفقار المواطن حصيلة استبداد السلطة والاضطرابات الناجمة عن عدم استقرار كيانها السياسي والاجتماعي "والإنسان المتخلف كالمجتمع المتخلف متطرفا أساسا، يتوجه نحو الماضي ويتمسك بالتقاليد والأعراف بدل التصدي للحاضر والتطلع إلى المستقبل، ويزداد التطرف شدةً وبروزًا بمقدار تخلف المجتمع وعلى نحو يتلاءم طردا مع درجة القهر التي تُمارس على الإنسان فيه" (الربيعي، ٢٠٠٧م، ٢٣)

"تركنا لوغان وذهبنا لسيح مصيرة لتجهيز المطارات والمدرجات لهبوط الطائرات الإتجليزية وكنَّا نخشى أصوات الطائرات. مات خالد ولم نعرف سبب موته؟" (خلفان، ٢٠٢٢م، ٢٧٧)

بينما كانت نيران حرب العالمية الثانية مستعرة، ولكن الطبقة العاملة مُجبرة على بناء المطار للطيران الانجليزي، وكان التعب والارهاق يقتلان العمَّال في كلِّ يوم، لكن لا حيلة لمن لا قوت لهم، وعليهم أن يجازفوا بأرواحهم لسد رمق جوعهم. تدخل الرواية في منحى آخر، وهو التعريف بحضور الآخر المستعمِر في عمان آنذاك. يقتل الآخر البريطاني الشاب خالد، بسبب الوعي الذي يمتلكه ليُصبح ضحيةً للإمبريالية التي تستغل الطبقة الكادحة عبر عناصرها المتنفذة في السلطة كبيت لوماه.

"نعم كوَّن أبي أكثر ثروته من بيع السلاح والتعاون مع الثوار في فارس والهند ضد الأنجليز، أما أنا فكونت ثروتي مع التعاون مع الأنجليز أنفسهم" (خلفان،٢٠٢٢م، ١٥٠)

بما أن أحمد لوماه لم يكُن من مسؤولي السلطة ولكنه استطاع أن يتعامل مع الدول الكبرى التي تنقل بضاعته المهربة إلى مسقط. فأحمد لوماه يستغل الاضطرابات الناجمة في ضعف السلطة الحاكمة ووهنها لمحاربتها المعارضين من القبائل الأخرى في عمان. فهذا الاستغلال يجعل سطوة القدرة متمركزة بين أسر قليلة جدا لتكون هي المسيطرة والمؤثرة في معظم قرارات الدولة. في فقرة أخرى من الرواية نعرج على شاهد آخر يبين لنا مدى هيمنة البرجوازية على رقاب العباد الذين هربوا خوفا من هذا الكابوس الجاثم على حياتهم.

الاغتراب

شغل موضوع الاغتراب الجانب الأكبر من اهتمامات الأدباء والمفكرين والفلاسفة والأنثروبولوجيين،إذ نجده قد زاحم المصطلحات في كتب النقد والأدب، وعلم النفس والتحليل الاجتماعي واللاهوت، وظهر موضوعا أساسيا في كثير من الأعمال "فهو ظاهرة إنسانية وجدت نفسها في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي أغلب الثقافات التي بناها الإنسان، وقد تعددت معاني الاغتراب بمرور الزمن، إذ لابدَّ لكل مصطلح من أن ينشأ بسيطا بدلالته، إلَّا أنه يأخذ مديات أوسع بتطور الزمن، ثم يتحدد وتتعدد معانيه." (الفلاحي، ٢٠١٣م، ١١)

تُعَدُّ ظاهرة الاغتراب –بصفة عامَّة– قديمة قدم الإنسان، فمنذُ أن هبطَ إلى الأرض، وهو يحسُّ بالغربة الفعلية، حين اضطرلمغادرة موطنه ومأواه الأول، فعاش على الأرض في فرقة وشتات، مما ولَّد لديه الإحساس بالغربة بأن يعيش بأرض الوطن الحقيقي، ولكنه يشعرُ بأنه غريب بين أهله وأرضه الجديدة التي لطالما مكث فيها؛ بسبب الثنائيات الضِّدِّية من حوله، التي اضطر إلى مواجهتها، مما جعله دائم الإحساس بالغربة. (شعبان، ٢٠١٧م، ٦٩)

يعدُّ الاغتراب الذاتي من أبرز ملامح الاغتراب؛ لكونه نواة لجميع الاغترابات التي تَضربُ بالشخص المغترب عن وطنه بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ونعني به"فقدان الإنسان لسمة واحدة، أو لجميع سمات الذات الأصيلة، وهي التفرد والعقل والإرادة والحب والنشاط الخلَّاق والحرية." (حمادحسن. ١٩٩٥م، ٧٠). فالاغتراب ظاهرة تعايش معها الإنسان منذَ الخليقة، وتعددت معاني هذه الظاهرة في دراسات العلوم الإنسانية فتُعني النزوح عن الوطن وكان هيجل هو أوَّل من استعمل مصطلح الاغتراب في العصر الحديث وبصورة منهجية. ويرى الاغتراب هو"أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى، ويصيرُ إنسانا آخر أغنى من الأول" (صليبا، ١٩٨٢م، ٧٦٥) وهذا الاغتراب من النوع الثاني الذي أصاب شخصية دلشاد في الرواية. حيث تغرَّبت شخصية الرواية وذاقت الهوان في

الهند. ولكن نحن رأينا الاغتراب الأول أصعب وقعة على المغترب في وطنه، وهذا الشاهد يبين لنا مدى الاغتراب والهروب من الهوية الممسوخة عندما بينت "مريم" لجارتها وهي تقول :

"في كلامها أوحت إليهن أنَّ أبي بلوشيا أيضا، فلم يعرف أحد أني انتمي الى بيت لوماه، وأن أبي من البحارنة، أخبرني بنفسه أنه من عرب العراق، واستقروا في مسقط منذ زمن بعيد جدا" (خلفان، ٢٠٢٢م، ٣٥١)

ففي هذا الشاهد، تهرب وتتنكر مريم دلشاد من هويتها الحقيقية خيفة الوقوع في المكروه الذي لا يحمدُ عقباه. فهي هاربة من بيت لوماه وخاصة فردوس التي تبحث عن فريدة لتأخذها من أمها. اغتربت فريدة في هويتها الحقيقية التي كبرت عليها. ولكن تنصلت منها نهائيا وهي هويتها العربية التي تمثل "الأنا"وانتمت لرحَّالة يعيشون على قارعات الطُرق. كلُّ هذا الاغتراب حفاظا على أسرتها من هيمنة السلطة القهرية التي تمتلكها بعض بيوتات مسقط.

"أمي لم تذكر اسم أبي صراحة، بل صارت تقول: أبو فريدة أو زوجي فقط، وكأنَّ الموتَ أخذ منا كل شي حتى اسمه الذي كنا نلجأ اليه ونعتزُ به" (خلفان،٢٠٢٢م، ٣٥٢)

يعيش الخوف في جوف مريم، وهي تروي سيرة حياتها بخوف تام. وكأنها لم تكن في ذلك البيت المعروف بحسبه ونسبه بين المسقطيين. ولكن سلطة الخوف أجبرتها على التنصل من كلِّ ذلك الحسب لفترة طويلة.هذا التنكُّر يدُّل على السلطة الجائرة التي تتحكم برقاب الفقراء والمضطهدين في تلك الأيام.

يصف دلشاد هروبه من مسقط قائلاً:

"هربت أعرف أني جبان، وأني هربت من مسقط، ومن الحارة، ومن اسمي ومن مريم. هربتُ ولا أبتغي إلا نجاتي من تلك اللحظة اللعينة، التي سلمت فيها مريم بيد المرأة العجوز." (خلفان،٢٠٢٢م، ٩٩)

الهروب يعادلُ النزوح القسري من الوطن، والتنحي بعيدا عن كلّ معالم الثقافة والهوية الأساسية التي تُشكل بِنية الفرد في المجتمع.الشخصية الانهزامية نشاهدها بكلِّ وضوح، وهذا الانهزام يبينُ لنا مدى سلطة الأعراف الاجتماعية البالية التي جعلت من"دلشاد"إنسانا هاربا من ذاته ومتسكعا في طُرقات الاغتراب القاتل. المونولوج يكشف لنا مدى الصراع الدائم بين أفراد المجتمع التي تتغلب عليهم الصراعات النفسية الداخيلة، وتبقيهم مشتتين ومنهزمين لصراعاتهم النفسية، التي ولدت معهم في تلك المجتمعات، التي تعاني التبعثر و الغليان الدائم.

ضياع المرأة

من العادات البالية التي نشاهدها في المجتمعات العربية؛ استلاب حقوق المرأة. بَيدَ أنَّ رسالة الإسلام هي تكريم المرأة وتبجيلها في كلِّ مراحل الحياة الاجتماعية. المرأة النصف الفاعل في أوساط المجتمع وهي التي بإمكانها تحريك المجتمع نحو الرقي والازدهار. تعتمد هذه الرواية على تسليط الضوء على العنصر النسوي المُغيب عمدا؛ لأنَّ الخطاب يتمنطق به الرجال حصرا مما جعلها مهمشة في مجتمعها.المرأة هي التي ترسم خارطتها بيدها؛ "لأنَّ خطاب المرأة لا تكتبه إلَّا المراة، وحقيقتها لا ينطقُ بها سواها. وإرادتها لا يعبِّرُ عنها غيرها. فعلى المرأة أن تكون ذاتها كما تريد هي أن تكون، لا كما يُراد لها أن تكون." (حرب، ١٩٩٠م، ١٤) يشاهد الإقصاء القهري على المرأة، بأن لايحق لها القراءة والكتابة خِيفة مكاتبة الرجال في قصص الحب والغرام. وهذه الرؤية لم تأت جُزافا بل هي من الموروث الثقافي الذي انتقل إلينا عبر الأجيال، ولاسيما الأقلام الذكورية، المتمثلة بأعلام كتَّاب العرب عندما نقلوا: أنَّ الكتابة حقٌّ طبيعي للرجل دون المرأة وهذا ما أشير إليه "بطرح مصطلحين يحملان التمييز والاحتكار، فجعل الكتابة "الكتابة" للرجل و"المكاتبة" للمرأة. ومصطلح المكاتبة يتضمن القدح بالمرأة والتحذير من تعلمها الكتابة" (الغذامي ،٢٠٠٦ م، ١٥٧) وهذا ما وظفتها الروائية بنظرة ثاقبة. حيثُ تحمل هذه الرؤى مشاهداً مؤلمة في الرواية، وتعكسُ لنا تعامل عبد اللطيف وفردوس مع إبنتهما (فريدة) عندما أرادت تعلُّم القراءة والكتابة :

"عرفت فريدة الكلام، وحفظت سور القرآن، وعلمها أبوها خط الأرقام والحساب، لكنها عندما طلبت منه أن يعلمها كتابة الحروف رفض وقال لها: البنات ما يكتبن... ولم يزد" (خلفان ، ٢٠٢٢ م ، ٢٨٦-٢٨٧)

أربكت التقاليد السلبية معادلة الانصاف بين الرجل والمرأة، وأخذت طابع التمييز بحرمان الفتاة من التعلم والقراءة. ولكن مانرى هنا - بالذات- السلطة القاهرة الاجتماعية التي تمنع المرأة من أبسط حقوقها، وهي التثقيف والتهذيب. هذا التعامل يعيب المرأة وكأنَّها ذلك المخلوق الناقص الذي نزلَ عنوةً في حياة الرجل. فالخطاب واضح في الدلالات اللغوية المستخدمة في النصِّ الذي يشير لهذا السياق الجلي عبر المفردات كالـعيب، والفضيحة، والبنات مايكتبن فهذا الانتقاص من شأن المرأة؛ يبعد المرأة من مهامها الرئيسية التي فيها الرقي والازدهار، والوقوف بوجه الاستبداد والتخلف المُسلَّط عليها.

المجتمع الذكوري لا يكتفي بتخلف المرأة فقط، بل وقف بوجهالإفقارها وتسولها في الطرقات، حيث نقلت خلفان مدى الظلم والاستبداد الذي مورسَ على مريم حين أصبحت تاجرة،وهذا الشاهد يبين لنا المشهد، عندما طلب الحاكم العسكري مريم.

"عمتي، مو لازم تجي الدكان، التجار العرب ما عاجبتهم جلستش وسط السوق. يقولوا: مكان الحريم في بيوتهن. تجار السوق مشتكين عليك. يقولون وجود إمرأة في السوق فتنة" (خلفان،٢٠٢٢م، ٤١٠-٤١٢)

هذه حصيلة المجتمعات المتخلفة التي سلبت حقوق المرأة، وحرمتها من أبسط حقوقها الاجتماعية. ولكن "سبق الشرع الإسلامي كل شريعة سِواه في تقرير مساواة المرأة للرجل؛ فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، وخوَّلها كل حقوق الإنسان وأعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشراء وهبة ووصية من غير أن يتوقف تصرُّفها على إذن أبيها وزوجها، وهذه الشريحة السمحاء التي احترمت المرأة وساوت بينها وبين الرجل" (أمين، ٢٠١٣م، ١٣) فإذا أردنا مجتمعا مثقفًا فعلينا بانصاف النساء في كل مرافق الحياة التي تضمن السلامة والحقوق المدنية للمرأة في المجتمع. الرجل والمرأة شريكان في صناعة البلدان، ومن خلال هذا التعاون المشترك ينطلق الفرد لبناء المجتمع ليحقق فيه التنمية والازدهار.

إقصاء الآخر بين التحقير والاهانة

المجتمع الإنساني يتشكّل من عنصرين مهمين؛ الأوّل المرأة، والثاني الرجل وفي جميع النصوص المقدسة نرى الخطاب موجها للمرأة والرجل معاً. "المجتمع باعتباره اجتماع فئات ومصالح يجمعها وجود واحد تختفي فيه القبيلة والعشيرة والانتماء إلى جهة جغرافية أو مجموعة إثنية وتحدد فيه الأهداف المشتركة على نحو يحفظ مصالح الفئات المختلفة ويعكسُ طبيعة وجودها" (أبوبكر، وآخرون، ٢٠١٣م، ١٧٥) فالمجتمع الذي لا يتسم بالمدنية والعقلانية يشاهد فيه مظاهر التحقير والتهميش دائما. وهذا ما رأيناه في المجتمعات الشرقية التي استمدت لقوّتها العشيرة والنفوذ النخبوي بين أبناء المجتمع الواحد.

ظاهرة التحقير في هذه الرواية تُشاهد بوضوح، حيث نرى المجتمع يتعاطى مع هذه الظاهرة القاتلة ببرودة تامة. ولا يختلف إثنان بأن ترسبات الإيديولوجية الحاكمة على عقول المنصهرين فيها تفرز اسهامات قاتلة لأبناء المجتمع. "فالإيديولوجيا عند "كارل ماركس" ما هي إلَّا عميلة ذهنية يقوم بها المفكر وهو واع إلا أنَّ وعيه زائف فإنَّه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ولو عرفها لما كان فكره إيديولوجيا" (العروي، ٢٠١٢م، ٤١) فتراهم يُنادون دلشاد في صغره وحتى في كبره "ود السيح" أو "الغبن" التي تعني اللقيط وهذه من افرازات العادات القهرية الاجتماعية التي لا تحترم أبناء جلدتها. كان عنصر الإقصاء مسيطرا على عدة فصول في الرواية وسنتطرق إلى بعض الشواهد في هذا المحور .

"وهناك وجدني رجل من حارة الطويان، ناداني: (ود السيح)، لكني لم ألتفت إليه، ثم سمعته يُناديني: (دلشاد... دلشاد) تعال خلني أوصلك فوقفت أخذ طرف عصاي، وتبعته حتى خيمتي" (خلفان، ٢٠٢٢م، ٦٩)

عندما تنعدم الأخلاقيات ويسيطر الجهل والتخلف على مجتمع ما، فلن نستغرب هذه السلوكيات الهادمة التي تجعل الإنسان حقيرا وذليلا بين أبناء مجتمعه. وحياة دلشاد نموذجا صارخا في هذا المجتمع الذي لم ينصفه نهائيا، حتي جعله ينسلخ من هويته

يوما بعد يوم. وراح يبحث عن نصفه المهزوم في بلاد الهند التي جعلته ينسلخ عن هويته التي لطالما أحبَّها وأراد أن يعيشَ بجنباتها بسلم وأمان.

وفي فقرة أخرى نشاهد مظاهر التحقير عندما ضحكت مريم في محضر فردوس وكيف كان الردُّ من قبل فردوس وهي :

"تصرخ طالبة الطاووس:"خذيها وعليمها الأدب في حضرة الأسياد" (خلفان،٢٠٢٢م، ٩٢)

لاستخدام المفردة دلالات لغوية واضحة، واللغة المستخدمة في نصوص الرواية تُعبر لنا مدى هيمنة السلطة والغناء الفاحش الذي يجعل بسطاء الناس مرتزقة لسدّ رمقِ جوعهم. أدَّت هذه القوة بنشوء الطبقية السلطوية التي تقسم الناس بين سيد وعبد وضيع يخدم أسياده بأقل الحقوق المتعَارف عليها، وهذا الشاهد دليل دامغ لهذه الطبقية التي قسَّمت الناس واستعبدتهم على مرِّ العصور.

النتائج

توصل البحث بعد الدراسة والتدقيق في مظاهر الضَّياع في رواية "دلشاد" لبشرى خلفان إلى النقاط التالية، وهي كما يلي :

-كان الضَّياع المتسلسل ينتقل بين شخصيات الرواية، مما أدَّى لضياع بطل الرواية وعائلته. أمَّا ظاهرة الجوع المُتكررة التي لم تنتهِ كانت العنصر الرئيس لأنواع الضَّياع في الرواية.

-كان الاغتراب الذاتي المحور الأساسي في تعريف معظم شخصيات الرواية، حيث تجسد الاغتراب في ضياع "دلشاد" في وطنه ونزوحه القسري خارج الوطن.

-باشرت الرواية بتعرية عنصر الفقر والتخلف الذي حلّ بأبطال الرواية، مما جعل الشخصيات تنصهر في بوتقة الجوع والحرمان الذي أرهق الناس وألبسهم لباس الذُّل وأبعدهم عن الحياة الكريمة .

-وظَّفت الراوية هيمنة الدول الكبرى التي أثارة الفتن والحروب في المجتمعات العربية، مما أدت إلى وخامة البطالة وتجميد الأنشطة الاقتصادية وتجويع وتهجيرآلاف الناس.

-استطاعت بشرى خلفان أن تبينَ للمجتمع العماني، بأنَّ المرأة قادرة على تذليل الصعاب ودخولها معارك الحياة بعزم راسخ، بعد إتقانها للعلم والمعرفة، وإن كان الاستلاب الهووي مسيطرا على العنصر النسوي.

-أثارت الراوية ظاهرة "الرِّق" الذي حلَّ ببعض شخصيات الرواية، مما أدَّى لازدواجية العبيد في سلوكياتهم مع أسيادهم، وهروبهم من سلطة العبودية المقيتة.

-عرَّفت الراوية شخصية الفرد البلوشي بهوية مُذبذبة وهامشية تسكن على قارعات الطريق وتغتات قوتها بعملها اليومي في الأسواق بحمل بضائع التجَّار. ولكن الراوية أفصحت عن بعض تراث المجتمع البلوشي، وهذا التعريف يؤخذ بعين الاعتبار، بأن الشعوب في كلِّ بقاع الأرض تحمل تراثاً وقيماً أخلاقية في موروثها الثقافي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أمين، قاسم (٢٠١٢م). تحرير المرأة، القاهرة: دار هنداوي للتعليم والثقافة.

إيمان عبد دخيل، جولان حسين جودي (٢٠١٩م) . ضياع الهوية بين الاغتراب والغرائبية، قراءة تأويلية في رواية الغرف الأخرى لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد ٩،العدد٣، صص ١٣١-١٤٧.

توفيق، قحام (٢٠١٧م). أزمة الهوية في الرواية الجزائرية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف ٢، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه.

جمال، شحيد، وليد قصاب (٢٠٠٥م). خطاب الحداثة في الأدب - الأصول والمرجعية -، دمشق: دار الفكر.

جوادي، هنية (٢٠٠٠م). اللغة والدين والهوية، المغرب: الدار البيضاء.

حرب، علي (١٩٩٠م). الحب والفناء، دار المناهل.

حسن، محمد حماد (١٩٩٥م). الاغتراب عند إريك فروم، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

حكيم أمقران (٢٠٠٥م). البحث عن الذات في الرواية الجزائرية (الطاهر وطار)، الطبعة الأولى، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.

خلفان، بشري (٢٠٢٢م). رواية دلشاد، الكويت: دار التكوين الكويت.

راضي جعفر، محمد (١٩٩٩م)، الاغتراب في الشعر العراقي، اتحاد الكتاب العرب.

الربيعي، صاحب (٢٠٠٧م). سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، دمشق- روسية: للدراسات والنشر.

رينيه ويليك، اوستن وارين (١٩٨٧م). نظرية الأدب، ترجمه: محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

-زائد، أحمد (٢٠٠٦م). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات - قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، الكويت: عالم المعرفة.

الزيات، أحمد حسن وآخرون (١٩٨٩م). المعجم الوسيط، إستانبول: دار الدعوة.

صليبا، جميل (١٩٨٢م). المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، بيروت: دار الكتب اللبناني.

طالبي قره قشلاقي،جمال، عليجه بوشايب،أسماء (٢٠٢٢م) دراسة آثر رواية (المحاكمة) لفرانس كافكا فى رواية (الغرف الأخرى) لجبرا إبراهيم جبرا(مقاربة تحليلية فى أوجه الاتفاق) مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٨، العدد ٢، صص ٢٣١-٢٥٣.

العروي، عبدالله (٢٠١٢م). مفهوم الإيديولوجيا، الطبعة الثامنة، المغرب: المركز الثقافي العربي .

غالي، شكري (١٩٨٠م). معني المأساة في الرواية العربية، رحلة العذاب، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة.

الغذامي، عبدالله (٢٠٠٦م). اللغة والمرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الفلاحي، أحمد علي (٢٠١٣م). الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع للهجري- دراسة تحليلية-، عمان: دار غيداء.

مساعدية، لزهر (٢٠١٣م). نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، الجزائر: دار الخلدونية.

نجاتي داوود، صاعدة احمد رضا (١٤٤٠هـ ق). استلاب الهوية وتحديات استردادها في "رواية حارث المياه" لهدي بركات. مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع، السنة ١٤، صص ٦٦٥-٦٦٩.

هنداوي شعبان، عادل (٢٠١٧م). تجليات الاغتراب في رواية "الحبُّ في المنفي لبهاء طاهر"، مجلة فيلولوجي، سلسلة الدراسات الأدبية اللغوية، دورية علمية محكمة جامعة عين شمس، العدد ٦٧، صص ٦٨-٦٥.

الودغيري، عبدالعلي (٢٠٠٠م). اللغة والدين والهوية، المغرب: الدار البيضاء.

References

The Holy Quran.

Amin, Qasim (2012 AD). Women's Liberation, Cairo, Dar Hindawi for Education and Culture.

Iman Abdul Dakhil, Golan Hussein Jodi (2019 AD). Loss of identity between alienation and exoticism, an interpretive reading of the novel The Other Rooms by Jabra Ibrahim Jabra, Journal of the Babylon Center for Human Studies, Volume 9, Issue 3, pp. 131-147.

Tawfiq, Qahham (2017 AD). Identity Crisis in the Algerian Novel, University of Mohamed Lamine Debaghine-Setif 2- A dissertation for obtaining a doctoral degree.

Jamal, Shaheed, Walid Qassab (2005 AD). The Discourse of Modernity in Literature - Origins and Reference -, Damascus, Dar Al-Fikr.

Jawadi, Haniyeh (2000 AD). Language, Religion and Identity, Morocco, Casablanca.

Harb, Ali, (1990 AD). Love and Annihilation, Dar Al-Manahil.

Hassan, Muhammad Hammad (1995AD). Alienation in Erich Fromm, Beirut, University Foundation for Studies and Publishing.

Hakim Amqran (205 AD). The Search for Self in the Algerian Novel (Al-Taher Wattar), 1st Edition, Dar Al-Gharb for Publishing and Distribution, Algeria.

Khalfan, Bushra (2022 AD). Dilshad's novel, Kuwait, Dar Al-Takween, Kuwait.

Radi Jaafar, Muhammad (1999 AD). Alienation in Iraqi Poetry, Arab Writers Union.

Al-Rubaie, Sahib (2007 AD). the authority of tyranny and oppressed society, Damascus, for studies and publishing, Syria.

Rene Wellek, Austin Warren (1987 AD). Theory of Literature, Translated by: Mohieddin Sobhi, Reviewed by Hussam Al-Khatib, Beirut, The Arab Institute for Studies and Publishing.

Zaid, Ahmed (2006 AD). The Psychology of Relationships between Groups - Issues in Social Identity and Self-Classification, The World of Knowledge – Kuwait.

Al-Zayyat, Ahmed Hassan and others (1989 AD). The Intermediate Dictionary, Istanbul, Dar Al-Da`wa.

Al-Boghbish, Sadiq, Rasul Balawi (2021 AD). The Poem of Alienation and Its Phenomena in the Poetry of Abd al-Razzaq al-Rubaie, Pazhush Nameh Arabic Literature, 9th Edition, Shamara 19, Paez-Zamistan 1398.

Saliba, Jamil (1982). The Philosophical Lexicon, Part Two, Beirut, the Lebanese Dar al-Kutub.

Talebi Qaraqashlaqi, Jamal, Alija Bushayeb, Asmaa (2022 AD) A study of the impact of the novel (The Trial) by Franz Kafka on the novel (The Other Rooms) by Jabra Ibrahim Jabra (An analytical approach to aspects of agreement) Journal of Arabic Language and Literature, year 18, issue 2, p. 231 -253.

Dhurgham, Adel (2010 AD). In Narrative Narrative, Algeria, Arab House of Science Publishers.

Laroui, Abdullah (2012 AD). The Concept of Ideology, Morocco, 8th edition, the Arab Cultural Center.

Ghali, Shukri (1980 AD). The Meaning of Tragedy in the Arabic Novel, The Journey of Torment, Dar Al-Afaq Al-Jadidah, 2nd edition.

Al-Ghadami, Abdullah (2006 AD). Language and Women; Arab Cultural Center, Casablanca.

Najati Daoud, Sa'ida Ahmed Reda (1440 AH). the usurpation of identity and the challenges of recovering it in Hoda Barakat's "The Harither of Waters Novel". Journal of Arabic Language and Literature, Year 14, Issue Four, pp. 669-665.

Hindawi Shaaban, Adel (2017AD). Manifestations of Alienation in the Novel “Love in Exile by Bahaa Taher”, Philology Journal, Linguistic Literary Studies Series, Scientific Journal, Ain Shams University, No. 67, pp. 65-68.

Al-Wadghiri, Abdel-Ali (2000AD). Language, Religion and Identity: Morocco, Casablanca.